

السؤال المسؤول عند طه عبد الرحمن

**The responsible question for Taha Abdurrahman**

سمية بلخير\* باحثة دكتوراه

كلية العلوم والاجتماعية – جامعة غليزان - الجزائر

[Soumiaislamique42@gmail.com](mailto:Soumiaislamique42@gmail.com)

تاريخ النشر: 2020/06/30	تاريخ القبول: 2020/05/25	تاريخ الارسال: 2020/ 04/02
-------------------------	--------------------------	----------------------------

**ملخص :**

تحاول هذه الورقة العلمية تناول المشروع الفكري لطه عبد الرحمن. هذا المفكر المغربي الذي يعد من أكبر المناطق في العالم العربي الإسلامي، ونخص بالذكر موضوع السؤال الفلسفي الذي دعا إلى ضرورة تجديده لفتح الآفاق أمام الذات العربية، إذ أن أكبر مانع للإبداع والابتكار الفلسفي هو تقديس القول الفلسفي الأصلي (الإغريقي) والأوروبي الحديث، فكيف يمكن تجاوز هذا العائق؟

**الكلمات المفتاحية:** القول، الفلسفة، العائق، الإبداع، الابتكار.

**Abstract**

This article attempts to approach the intellectual project of Taha Abdurrahman this Moroccan thinker is one of the largest region in the Arab Islamic word, we are particularly concerned with question of the philosophical question, that called for the necessity of renewing it to open the horizons for Arab self , the greatest impediment to creativity and philosophical innovation is the appreciation of the creek philosophical, and modern Europe, so how can this obstacle be over come?

**Key words:** to say, philosophy, obstacle, creativity, innovation.

**مقدمة:**

لعل من أبرز خصوصيات التفكير الفلسفي هو تجاوز ما هي عليه الحياة اليومية إلى شيء آخر أكثر قيمة بالنسبة للمرء، إلا أن هذا الشيء القيم لا يتجلى من أول الأمر، وإنما يتطلب محاولة تتطلب من الإنسان بحثا

وتفكيراً عميقاً، ومن هنا غدى التفكير الفلسفي مقترناً بذلك الجهد الفكري الذي يبذله المرء، والذي يجب على كل متفلسف أن يقوم به، هكذا كان حال الفلاسفة الأولين، فالممارسة الفلسفية تفرض على الفيلسوف التخلص من قيود العادات والتقاليد البالية التي تحد من فكره وتعرقل رؤاه، فالفلسفة تورث محبيها عمق التفكير وسداد الرؤية، وتغذي فيه ملكة النقد ولهذا اشتهرت الفلسفة أول الأمر بممارسة السؤال، أي التجاوز الفلسفي حين تشيد مقاما جديدا لها تنتظم أمامه وتصطفى المشكلات والمفاهيم لتؤلف صورة معينة للفكر، انطلاقاً من كون الفلسفة صناعة مفهومية، ولهذا نجد المفكر المغربي طه عبد الرحمن دعا إلى إعادة التفكير في السؤال الفلسفي، إذ هي عملية زحزحة السؤال ذاته حتى تتضح الرؤية، ولهذا عمد الفيلسوف طه عبد الرحمن إلى تجاوز تاريخ السؤال الفلسفي، وإعادة النظر فيه، من هنا نطرح السؤال التالي: كيف يصبح الفيلسوف مسؤولاً قبل أن يكون سائلاً؟ وكيف يمكنه أن ينتج مفاهيمه التي تعبر عن وجوده؟ ما هي الآليات التي اقترحها طه عبد الرحمن لعقلنة العقل الفلسفي العربي من خلال فكرة السؤال المسؤول؟

### 1- من السؤال الفاحص إلى السؤال المسؤول:

إذا كانت السمة المعروفة للفلسفة على وجه الإجمال هي السؤال، فقد قسم طه عبد الرحمن السؤال إلى أنواع مختلفة: السؤال القديم، والسؤال الجديد، والسؤال المسؤول .

#### 1-1- السؤال القديم:

ويمثل هذا الصنف من السؤال، السؤال الفلسفي اليوناني القديم وهو عبارة عن عملية فحص أي سؤال فاحص، و"مقتضى الفحص هو أن يختبر السائل دعوى محاوره بأن يلقي عليه أسئلة تضطره إلى أبوية تؤول في

الطالب إلى إبطال دعواه"<sup>(1)</sup> وهذا النموذج من السؤال تمثله الممارسة السقراطية.

### 1-2-السؤال الجديد:

وهو عبارة عن عملية نقد ويمثله السؤال الأوربي الحديث، أي السؤال الناقد و" مقتضى النقد هو أن لا يسلم الناظر بأية قضية كائنة ما كانت، حتى يقبلها على وجوهها المختلفة، ويتحقق من تمام صدقها متوسلا في ذلك بمعايير العقل وحدها " <sup>(2)</sup> ، ويمثل هذا الصنف من السؤال النقد الكانطي.

### 1-3-السؤال المسؤول:

وهو السؤال الذي يحاول مجاوزة أشكال السؤال الفلسفي الفاحص والناقد، أي السؤال المسؤول القادر على تكبد إعناء الفكري والبحث الاستمولوجي العميق، إذ أن السؤال الفاحص يوجب الدخول في الحوار، ويقصد إفحام المحاور، وأما الناقد يوجب التفكير في المعرفة ويهدف إلى الوقوف على حدود العقل، غير أن السؤال المسؤول أي ذلك السؤال الذي يقوم بسؤال عن وضعه بقدر ما يحاول أن يسأل عن موضوعه أي " حين يصبح الفيلسوف مسؤولا قبل أن يكون سائلا حين يكون مسؤولا عن كل أفعاله بما فيها سؤاله نفسه" <sup>(3)</sup> .

من هنا أسس طه عبد الرحمن شكلا جديدا للسؤال الفلسفي، ذلك أن هذا الأخير يفتح أمام الذات السائلة أفقا جديدة للتفكير، أي أن الأصل

1-طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2014، ص: 13.

2-المصدر نفسه، ص: 14.

3-أرجيلة عباس، فيلسوف في المواجهة، قراءة في فكر طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2013، ص: 16.

في الفلسفة ليس السؤالية، وإنما المسؤولية فممارسة السؤال حسب طه عبد الرحمن، إنما هي في حقيقتها مسؤولية أخلاقية أولاً، فالفيلسوف الحق ليس هو الذي يمارس النقد بل هو الناقد المسؤول، من هنا يصبح العقل عند طه عبد الرحمن عقلاً مسؤولاً لا فاحصاً ولا ناقداً، كما يرى طه عبد الرحمن أن السؤال الفلسفي يتضمن معنيين الطلب والتداعي.

## 2-مضمون السؤال الفلسفي:

يؤكد طه عبد الرحمن أن السؤال الفلسفي يتضمن ويحمل معنيين وهما الطلب والتداعي.

### 2-1-الطلب:

وهو استدعاء للمعرفة، حيث يرى طه عبد الرحمن أن "الفلسفة لا تتحدد إلا بالطلب"<sup>(1)</sup>.

### 2-2-التداعي:

يشمل أن لكل سؤال يدعو إلى مثله أو ضده، إنه يمثل ذلك السؤال الذي يتشعب في كل الاتجاهات يسعى إلى الوصول إلى المعرفة " حتى أن السؤال الواحد قد يتوالد في كل اتجاه ويتشعب تشعباً، فقد يأتي السؤال اللاحق من داخل السؤال السابق، أو يأتي من خارجه وقد يبرز من تحته أو يبرز من فوقه"<sup>(2)</sup>.

وبهذا تصبح المعرفة الفلسفية تحصل عن طريق السؤال الذي يدفع الإنسان المريد الراغب في البحث عن الحقائق، أي سؤال مولد للأفكار،

1-طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، جزء 1، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2013، ص: 12.

2-المصدر نفسه، ص: 12.

وبهذا تغدو الفلسفة عبارة عن سؤال يثمر بها ويفتح لها الأفاق والإمكانات، " إنها دوام السؤال من فتح لأفاقها وإثراء لإمكاناتها " (1).

فالفلسفة جهد فكري بشري لإدراك الحقائق سبيلها بعد السؤال امتحان الجواب بطلب دليل صحته لا قبوله والتسليم به، ومنهجها الانتقاد قبل الاعتقاد (2)، هذا السؤال الذي لا بد من العودة إليه من جديد لكي نستطيع بناء استفهاما مسؤولا من هنا، فالسؤال المسؤول عند طه عبد الرحمن يمثل شكلا ونمطا جديدا، " يناسب ما يلوح في الأفق من مآلات الحداثة " (3)، وبهذا قام طه عبد الرحمن بنحت مفهوم جديد للسؤال وهو السؤال المسؤول الذي يجعله رجلا متفلسفا بحق، انطلاقا من اعتبار أنه لا تفلسف بدون ابتكار المفاهيم، ولا قدرة على ممارسة الفلسفة بدون نحت للمصطلحات كأسلحة لتوليد أفكار جديدة، أي " فن تكوين وإبداع وضع المفاهيم " (4) على حد تعبير جيل دولوز، فالفيلسوف " إذا كان يسأل ولا يفتأ يسأل، فليس لأنه يملك زمام السؤال، ويملك بالتالي زمام إيقاع المسؤولية على غيره " (5)، بمعنى أنه لا مغزى لطرح السؤال بدون أن تتحمل الذات مسؤولية الجواب عنه أولا، وقبل أن تبحث عن جواب عنه لدى الآخر.

من هنا يصبح النقد الفلسفي نقدا مسؤولا، والنقد المسؤول هو الذي لا يركن إلى الاعتقاد في نفسه فضلا عن عدم الركون إلى الاعتقاد في

1-المصدر نفسه، ص: 11.

2-يومنجل عبد الملك، الإبداع في مواجهة الاتباع -قراءات في فكر طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان، ط 1، 2017، ص: 83.

3-طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص: 14.

4-دولوز جيل، غتاري فليكس، ما هي الفلسفة، ترجمة: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط 1، 1997، ص: 28.

5-طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص: 15.

وسيلته التي هي العقل، وإنما يمارس النقد على نفسه كما يمارسه على منقوده، وعلى وسيلته العقلية، فهو إذن ليس بنقد معقود يخشى انعطافه بالضرر كما هو الشأن السؤال بلا مسؤولية، وإنما هو نقد منقود يؤمن جانبه" (1)، فطه اعتمد السؤال المسؤول على تحرير القول الفلسفي العربي، وفتح آفاق الإبداع فيه، وهذا ما يقتضي احتياجه إلى استشكال مفهوميين هما "الفكر الواحد" و "الأمر الواحد".

فالفكر الواحد هو المسؤولية التي تقع على عاتق الفيلسوف العربي، حيث يتوجب عليه التصدي له إذ هو إفراز من إفرزات ثقافة الأقوى فهو " ينزع عنهم مظاهر التميز والخصوصية، ويقطع عنهم بالتالي أسباب العطاء والإبداع، إذ لا عطاء بغير تميز، ولا إبداع بغير خصوصية" (2)، أي أن المهمة المنوطة بالنقد المسؤول هي التصدي لهذا الفكر الواحد، وكشف تناقضاته وإخلاله بشروط التفلسف، وهذا ما حاول طه عبد الرحمن العمل على تطبيقه، فأوضح أن الفكر الواحد يعارض مبدأ المسؤولية الذي تتحدد به الفلسفة، و" على هذا فبقدر ما يشتغل المفكر العربي بهذه المواجهة ويتغلغل في أغوارها، يكون أقرب إلى الوفاء بمقتضى الممارسة الفلسفية الحقيقية" (3).

وأما الأمر الواقع فهو مفهوم سياسي يرسم الهيمنة السياسية على الفلسفة، لأنه يمثل مقولة سياسية في أصله، ولما " كان مفهوم الأمر الواقع مفهوما سياسيا فليس معيار الحكم عليه، هو الحق وإنما هو المصلحة" (4)، إذن فالأمر الواقع حسب طه عبد الرحمن يخالف الحق من جهتين هما المصلحة والقوة.

1-المصدر نفسه، ص: 16.

2-المصدر نفسه، ص: 17.

3-المصدر نفسه، ص: 17.

4-المصدر نفسه، ص: 19.

فالمفلسف العربي المبدع مطالب بالتعرض لنقد الأمر الواقع ليتوصل أن يحميها من ذهنية قومه ويحمل في المقابل فكرة الواقع متيقنا أن المصلحة لا تقوم على الحق وليس على القوة، ومن هنا يكون المفكر العربي قد تمكن من انتزاع حق الممارسة الفلسفية التي تختلف تماما عن الفلسفة التي يقرر أهلها أنها أمر واقع ، والممارسة الفلسفية المختلفة لا تنفك عن الحوار بين الفلسفات، إذ الاختلاف يوجب الحوار ، والحوار يمثل تواصل السؤال، والاختلاف هذا حسب طه عبد الرحمن يكون داخليا وخارجيا، فالاختلاف الداخلي هو " الذي يتولد داخل دائرة التراث الفلسفي الواحد ومهما بلغ هذا الاختلاف من القوة وتبلور في صورة مدارس ومذاهب شتى، فإنه لا يمكن أن تتعدى إلى الحقائق الفلسفية التي تنزل منزلة الأصول لهذا التراث الخاص"<sup>(1)</sup>. أما الاختلاف الخارجي فهو الذي " يحصل بين دائرتين متباعدتين من التراث الفلسفي، بحيث لا وجود لأصول واحدة بعينها تنبنيان عليهما معا، وهذا لا يمنع من أن تشترك هاتان الدائرتان الفلسفتان المختلفتان في بعض الحقائق الفرعية"<sup>(2)</sup> ، ومن ثمة كما أن حق الاختلاف الثقافي حق شرعي لكل الأمم فكذلك حق الاختلاف الفلسفي يجب الاعتراف به من طرف الجميع. وإن هذا النقد لمفهومي " الفكر الواحد" و" الأمر الواقع" هو في حقيقته تعبير من طه عبد الرحمن وانتزاع لحق في اختلاف الممارسة الفلسفية، ونحن العرب أحرار في إبداع فلسفة تخصنا، وليس من سبيل إلى ذلك إلا الاجتهاد في الإبداع، ومحاولة التصدي لكل الدعاوي التي تحول دون ممارستنا لحرية الفكر ، ويأتي في مطلعها القول بكون الفلسفة معرفة كونية، وهذا ما راح يؤكد في كتابه الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، حيث يقول: " بديهي أن

1- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص: 21.

2- المصدر نفسه، ص: 21.

كل فلسفة كائنة ما كانت هي نتاج سابق تاريخي ونطاق اجتماعي مخصوص، ولا وجود لفلسفة بلا هذا السياق التاريخي، ولا هذا النطاق الاجتماعي" (1).

من هنا جاء إيمان طه عبد الرحمن إيماننا راسخا في شرعية وأحقية كل قوم في الاختلاف الفلسفي، أي حاجة الأمم والأقوام جميعها في الولوج إلى علاقات حوارية بعضها مع بعض، لأن الاختلاف يفرض الحوار، والحوار ما هو في حقيقته إلا تواصل السؤال، و" ينتج عن هذه النظرية أن الاختلاف ليس ناتجا فلسفيا فحسب، يرتبط ارتباطا وجوديا بمهمة التفلسف، بل هو باعث على التفلسف كذلك لأنه يمنع من النظر إلى الفلسفة على أنها عبقرية خصت بها أمة واحدة دون أمم العالم، أو أنها معرفة كونية" (2)، ومنه تصبح الفلسفة حسب طه عبد الرحمن نوعان: ميتة وحية.

### 3-أنواع الفلسفة:

لقد ذهب طه عبد الرحمن أن الفلسفة نوعان: الميتة والحية.

#### 3-1-الفلسفة الميتة (المتوحدة):

وهي تلك الفلسفة الدوارة التي تدور في دائرة مغلقة اتباعية تقليدية، أي " تدور في دائرة مغلقة لا تلبث أن تعود القهقري إلى نقطة انطلاقها، وهي اتباعية لا إبداعية حيث تتوسل التقليد لا التجديد" (3) أي أنها توصف بالإبداع لا الإبداع.

#### 3-2-الفلسفة الحية الفوارة:

1-المصدر نفسه، ص: 53.

2-بومنجل عبد الملك، الإبداع في مواجهة الإلتباع" قراءات في فكر طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 86.

3-بوزبرة عبد السلام وآخرون، الفلسفة العربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص: 634.

وهي تلك الفلسفة التي توصف بكونها مثرية فكريا ومعرفيا، تفتح المجال للإبداع والجدّة، أي "منتجة فكريا ومعرفيا وتتيح مساحة للتأمل والتفلسف بشكل موصول بالمجال التداولي العربي في مكوناته الثلاث، العقيدة، واللغة، والمعرفة"<sup>(1)</sup>.

فالفلسفة الفوارة هي تلك الفلسفة التي بقيت رهينة ما أنتجه الآخر ، وأبدعه ومن يمثلها إنما هو متبع ميت لا حياة فيه، ولهذا نادى طه عبد الرحمن المتفلسف العربي إلى الاشتغال في الفلسفة الفوارة التي تشع فيها حيوية الإبداع لا الإتياع، لقد دعا طه عبد الرحمن إلى تحقيق فلسفة فوارة متميزة، ولهذا يرى أن الإنسان المسلم العربي يحتاج إلى الاعتراف بحاجة إلى إيجاد فلسفة يتميز بها عن الشعوب الأخرى حيث يقول: "ونحن الأعراب نريد أن نكون أحرارا في فلسفتنا"<sup>(2)</sup> ، أي حاول أن يبين للمتفلسف العربي الطرق والسبل لكي يتحرر من ريقّة الإتياع والتقليد إلى رحابة الإبداع والتألق.

يبين كيف يصنع الفيلسوف مفاهيمه وكيف يوظفها في سياق أقواله مستخرجا جملة من الآليات والطرق التي يحتاج المتفلسف العربي إلى معرفتها لكي يقتدر على إبداع مفاهيمه الخاصة به، ويتحرر من تقليد غيره"<sup>(3)</sup>.

هذا الدليل يكشف للمتفلسف الأسباب التي تنضوي وراء التصورات والأحكام الفلسفية، يوجهه إلى كيفية إبداع فلسفة عربية قادرة

1-بوزبرة عبد السلام وآخرون، الفلسفة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 634.

2-طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المصدر السابق، ص: 22.

3-مقورة جلول، فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر "طه عبد الرحمن وناصرين القومية والكونية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2015، ص: 114.

على الوقوف أمام الشعوب الأخرى، أي " لا يتفلسف على مقتضى هويته وهو بذلك يدافع عن وجوده"<sup>(1)</sup>.

غير أن العربي حسب طه عبد الرحمن يتفلسف بما يخدم غيره وهو لا يعرف، يمارس التطبيع دون أي وعي، حيث يصف لنا هذا الوضع قائلاً: " يؤولون إذا أول غيرهم ويحفرون إذا حفر، ويفككون إذا فكك سواء أصاب في ذلك أم أخطأ، وقد كانوا منذ زمن غير بعيد توماويين أو وجوديين أو شخصانيين أو ماديين جدليين...مثله سواء بسواء كما لو أن أرض الفكر لم تكن واسعة، فيتفسحوا فيها "<sup>(2)</sup>.

هذه الممارسة الفلسفية التي يقع على عاتقها عقلنة العقل الفلسفي العربي ليتمكن من إبداع فلسفة حقيقية بمعناها، إنها فلسفة متأصلة في تربتها ضاربة جذورها اللغة والبيان، إسلامية الرؤية والروح، إنها نداء لنوي العقول الصحيحة والقلوب المتشوقة للحقيقة.

لهذا وجب رفع التحديات المفهومية التي تواجه أمتنا المسلمة لكي تجد طريقها إلى فكر مستقل مبدع وأفضى بنا هذا التفكير إلى أن نجهز أنفسنا لجهاد مفهومي في ساحة الفكر الفلسفي<sup>(3)</sup>، من هنا يكون سعي طه عبد الرحمن مجهوداً إلى محاولة تجديد الفكر الإسلامي العربي ليحلق في سماء حرية الفكر ويتخلص من كل تبعية مميتة.

**خاتمة:**

1-ملاكوي سعيدة، الحداثة عند طه عبد الرحمن من النقد العربي المزدوج إلى بناء المفهوم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018، ص: 86.

2-طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، المصدر السابق، ص: 12.

3-حمو نقاري، منطق تدبير الاختلاف من خلال أعمال طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، ص: 122.

إن طه عبد الرحمن من خلال مجاوزته للسؤال الفلسفي القديم والحديث، إنما فتح مسارا جديدا للقول الفلسفي، يقدم من خلاله بديلا للخروج من التبعية وتقديم نماذج للممارسة الفلسفية الإبداعية، تشهد على قدرة العربي على الخلق والإبداع، إنها صحيحة لتفعيل الاهتمام بقيمنا الإسلامية بعدما استشعر أن المتفلسف العربي إنسانا أصم أبكم لا يسمع الآخر، ولا يتواصل معه.

إنها دعوة لكل مفكر عربي لنحت وإنشاء معمله المفهومي، والسعي في إنجاز عمليات على مستوى لغته وخصوصيته، والقدرة على تأسيس فلسفة جديدة أو علم جديد، هي فلسفة السؤال المسؤول والتي يمكنه من الإبداع، والإبداع بهذا يكون على مستويين: إبداع على مستوى المفاهيم، وإبداع على مستوى المصادر.

فالفلسفة من هذا المنطلق فلسفة فريدة من نوعها، إنها فلسفة متميزة عن باقي الفلسفات الأخرى، إذ يظهر تميزها في كونها تبنى على تحديد منهج الفلسفة.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أولا/ قائمة المصادر:

1- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2014.

2- طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، جزء1، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2014.

3- طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، جزء2، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2014.

#### ثانيا/ قائمة المراجع:

- 4-بوزبرة عبد السلام وآخرون، الفلسفة العربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.
- 5-بومنجل عبد الملك، الإبداع في مواجهة الاتباع " قراءات في فكر طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان، ط1، 2017.
- 6- دولوز جيل، غتاري فليكس، ما هي الفلسفة، ترجمة: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1997.
- 7-عباس أرحيلة، فيلسوف في المواجهة " قراءة في فكر طه عبد الرحمن"، المركز الثقافي العربي، المغرب ط1، 2013.
- 8-مقورة جلول، فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر، طه عبد الرحمن وناصر نصار بين القومية والكونية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2015.
- 9-ملاوي سعيدة، الحداثة عند طه عبد الرحمن من النقد المعرفي المزدوج إلى بناء المفهوم، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2018.